البناء
السنة السادسة / الجمعة / 24 نيسان 2015 / العدد 1765
Sixth year / Friday / 24 April 2015 / Issue No. 1765

## ناصر قنديل

بعد الصباحات للسيّد وكلامه السديد، ولليمن الشعب المقاوم العنيد، نكمل حديث الجمعة لهذا الأسبوع، بتحيتين: الأولى لـ«خال الغلابة» الشاعر عبد الرحمن الأبنودي، والثانية للكاتب والإعلاميّ سليمان تقيّ الدين. فكلاهما رحلا عنّا على غفلة، إنما لن يغادراننا. وفي «مختصر مفيد» اليمن يُنهي أسوأ حقبة سوداء في تاريخ العرب. ومن «قالت له» وكلام في الحبّ واللقاء والذهول والتوق، يستمرّ مُستكمَلاً في «مشاركة»، لختم بـ«رياضيات في الكلام»، والحديث عن الحرّية والعبودية وما بينهما.

## صباحات

### 2015/4/17

قال الصباح: صباحك يا سيّد تطلّ لتنتصف الفجر ومنتصف الليل في إمامة صلاة الحاضر فينا لليمن... تشرئب الأعناق لنسمع النداء إنها لحظة تاريخية تتخطى نصرة الملهوف ونجدة المظلوم ووقفة الضمير ضدّ العدوان، لتقول لنا إنه لم يعد مجالا للشك أنّ طريق القدس التي سلكها جدّك النبيّ من مكة والمدينة لا تزال الطريق الوحيدة التي تصل إلى المسجد الأقصى، وإنك لسالكها وإننا معك ووراءك ومن حولك... وإنّ حماية اليمن حماية أمن المقاومة، وبقدر ما «إسرائيل» معنية وتقف وراء الحرب السعودية لأمن جنوبها المائيّ والبرّي، فيخوض السعوديون حرب «إسرائيل» علينا، ويخوض اليمنيون حربنا عنّا. نحن معنيون وسنكون هناك كما كنّا في سورية في حربنا وجهاً لوجه... مع فارق البرّ السهل للوصول في سورية، ووسائل أخرى في اليمن. ليعرف الذين قرّروا الحرب أننا فيها، وليتصرفوا في حال عدم وقفها على هذا الأساس، وسيعلمون التفاصيل لاحقاً.

### 2015/4/18

قال الصباح: لا تسألوا عن سبب التفاعل بين العيون وأسرارها والضوء، فتلك حالة تعيشها الأوطان والأمم كما البشر. من تعشق عيناه الليل حتى يطوي آخر خيوط العتمة، ومن تعشق عيناه الصباح منذ خيوط الضوء الأولى... فلكلّ عيون نفس وحالة وتعبير وسعي... بعضها يسمّي انتظارات الليل قلقاً، وبعضهم يسميه كتماناً، وبعضهم يحييه بالصلاة أو القراءة والسكون والتأمل. لكن للصباح معنى واحداً: النشاط والانتاج وملاقاة الضوء باليقظة.... ومن الناس من يصل الليل بالنهار، فأولئك هم المجاهدون وحرّاس الثغور، أو الطلاب الذين يصنعون المستقبل وحرّاس الغد الآتي... يبقى ضوء الصباح للفلّاح وفرح الشمس وعتمة الليل للشعراء وسكون التأمل... الكسالى فلاسفة أو فوضويون أو في استرخاء عن الحاجة، والنشطاء فقراء أو منتجون أو منظّمون، ومن يجمع بينهما قد سيطر على مساره بقراره، أو سيطر عليه مسار وأفقده القرار... تحدّد الأمم والشعوب كما يحدّد البشر علاقتهم بالضوء... إذا كان خيارهم بأيديهم... فهل يسهر من هو مجبر على اللهاث وراء لقمة العيش؟ وهل ينام الليل من مهنته السهر كي ينام الآخرون؟ فلمن يسيطرون على علاقتهم بالضوء والعتمة أن يحدّدوا استثمارهم الوقت كجزء من عمر. فكل يوم يعادل واحدة من خمس وعشرين ألفاً من السنوات الخمس والسبعين التي تشكل متوسط أعمار البشر في أيامنا، والتي تشكل ثلاثة أجيال في أعمار الأوطان والدول... اسألوا إيران ماذا أنتجت في ثلاثين سنة، وكل يوم كان واحداً من عشرة آلاف منها لما اكتملت خرجت إلى الشمس وبقيت دول العرب في عتمة الليل تنتظر الغد.

### 2015/4/19

قال الصباح: لمّا رآهم السيد يستفردون باليمن قال: ماذا لو فتحوا أبواقهم وفضائياتهم لإشغال اليمنيين عن هموم القتال والميدان، وتسلّطوا على نفوسهم وقلوبهم والعقول؟ فتلك أصعب الحروب وما لهم بها ما لنا من باع، ولا لديهم فيها ما لدينا من رصيد. فلو تمكنا من جذب الحرب الإعلامية نحونا وحرّرنا اليمنيين وأيديهم وعقولهم وقلوبهم، لكانت انتصاراتهم أقرب، وكان مؤدّى الوقوع في أفخاخنا الإعلامية تظهير حقيقة حرب اليمن كحرب على المقاومة أصلها «إسرائيل». وهذا لليمن كشف وتظهير لحقيقة تستحق المخاطرة... فتح السيد عن صدره وقال ها نحن هنا صوّبوا سهامكم نحونا، وكان له ما شاء فسقطوا لمّا أطلقوا السهم الأول وما زالوا يطلقون وهو يتبسم... واليمنيون منهمكون في الأهمّ... صناعة نصرهم الآتي... ومن يتابع الإعلام يظنّ حربهم تدور في لبنان لا في اليمن.

### 2015/4/20

قال الصباح: اليمن يكتب تاريخ العرب ويمسك صباحهم. وفي اليمن نفط وذهب وليل وطرب. لكن في اليمن يمسك الشباب سلاحهم... في اليمن شباب أقسموا أن عزّ اليمن سيعود ويمرغ بالوحل أنف بني سعود... وفي اليمن يدفع بنو سعود الثمن... ألقى الصباح تحية الصباح على اليمن.

### 2015/4/21

إذا كان اليمن قد قال ما قال في حرب صامَت عنها السعودية سبعين سنة، فقد قال عن العرب والعالم إنّ جيشاً ثانياً في هذا الشرق يخرج إلى التقاعد على رغم قدرته على القتل. وإن سقفه في الحروب الاقتراب من البرّ حيث يلتحم الرجال بالرجال. وفي اليمن رجال. وقال الصباح لليمن عالم عربي بلا «إسرائيل» قوية كتبه سيد وعرب بلا سعودية قوية كتبها سيد. وبين سيد وسيد، قاعدة القتل الوهابية تترنح على يد أسد، حيث وراءها «إسرائيل» والسعودية. فبين نهريهما يجري ماؤها... فما أحلا حرف السين في سيدين وأسد، وما أسوأ السين في السعودية و«إسرائيل»... ما أحلاهما حين تعودان فلسطين والحجاز... السوء من الأسماء المزوّرة، لا من حرف السين... قال الصباح!

### 2015/4/22

قال الصباح: كيف تتحقّق أهداف الحرب وما زال ما كان عليه الحال على حاله؟ فباب المندب يعجّ بالسفن الإيرانية، وأميركا تقول لست معنيّة. وأرض اليمن ليس فيها شبر لهادي منصور حتى القصور. وإعلان وقف الحرب إما أن يكون تحقيقاً لهدف قتل النساء والأطفال أو هروباً من قتال الرجال، وإما أن يكون قد حقّق هدف «إسرائيل» بضرب مخزون الصواريخ. أو يكون السبب هو العجز والقصور... قال الصباح: المهم أنّ الصباح أطلّ على اليمن، وأنّ العسيري سيطويه الزمن!

### 2015/4/23

قال الصباح: الذين بشّروا بعروبة جديدة مع عاصفة السعودية، كان نصيبهم رمالاً تعمي العيون. فبقي لسانهم في زمان يقف خلف عيونهم، وتشوّهت أشكال رؤوسهم. ومتى رأيت رجلاً لسانه يخرج من خلف رأسه، تعرف أنه قلاب أو مشنوق. أما إذا كان بلسانين، فهو عزم بلا يشارة... صباحكم عزم اليمن وسواعد شبابه في المِحن، ولا تلتفتوا إلى عاتيات الزمن والذين يحرّفون الكلم، فمنهم من لا يعلم ومنهم من علم... أولئك هم المنافقون.

## مختصر مفيد ... اليمن يكتب تاريخ العرب

● ليست أحجام الدول التي تقرّر مكانتها في كتابة التاريخ، بل حجم تأثيرها في صناعة الأحداث الكبرى التي يصنع تراكمها الخط البياني المعبّر، عن اتجاه التاريخ. والقصد هنا ليس موقعها الموضوعي أي ما تشهده من تطوّرات كبرى، بل ما تصنعه بفعلها الذاتيّ، الواعي الخاضع لسيطرة قيادة ورؤيتها، قيادة تحمل مشروعاً وتملك مصادر قوّة لوضعه تحت الضوء.

● كتب لبنان مرّتين تاريخاً جديداً للمنطقة والعرب، يوم التحرير عام 2000، وفي يوم النصر عام 2006. وكتبت سورية ومصر تاريخ العرب والمنطقة عام 1973. وكتبت سورية بصمودها تاريخ العرب، بإسقاط ثلاثة مشاريع معاً أو تباعاً، مشروع الأخونة، ومشروع التفتيت، ومشروع الإخضاع. وفتحت الباب للتاريخ مرّة أخرى ليكتبه اليمنيون بإسقاطهم الحقبة السعودية.

● أسقط حزب الله الحقبة «الإسرائيلية»، بإكماله المسيرة التي بدأها المقاومون العرب خصوصاً في فلسطين ولبنان، وبإكمال مسيرته بحلقتيها، إسقاط «إسرائيل الكبرى» القائمة على التوسّع والاحتلال، ثمّ بإسقاط «إسرائيل العظمى» القائمة على الردع ومقايضة الأمن بالنفوذين الاقتصادي والسياسي. وأسقطت سورية الحقبةَ العثمانية، بمواجهتها المفتوحة مع مشاريع التسلل من البوابة التركية، مشروع الاستتباع للهيمنة الأميركية وإطاحة القرار الوطني المستقل للدولة السورية، ومشروع تنصيب معارضات تحت الإبط التركي مقيمة في اسطنبول بقوّة التدخلات الأجنبية والمال والاستخبارات والقتل والتدمير والفتن. ومشروع «داعش» و«النصرة» بمرجعيتهما التركية، ورهان الفوضى وصولاً إلى وضع اليد. إنما بقيت السعودية، التي كانت من وصف المقاومة بالمغامرة، التي يجب أن تدفع الثمن على مغامرتها في حرب تموز 2006، ومن وضع كل ثقل ماله واستخباراته وقدرته على تجنيد تنظيم «القاعدة» لإسقاط سورية، حتى صارت قضية سورية قضية حياة أو موت بالنسبة إلى الأسرة الحاكمة في السعودية.

● كان كل شيء يقول في المنطقة إنّ العرب لن يدخلوا الاستقرار، ولن يعرفوا فرصاً حقيقية لبناء دولهم الوطنية، من دون أن يتلقى حكام السعودية صفعة تهزّ كيانهم، وتضعهم في الحجم الذي يتناسب مع ما يمثلون من حجم في الاستراتيجيات والجغرافيا السياسية، لا بحجم المال الذي يقدرون على إنفاقه. خصوصاً في الكواليس السوداء لشراء قدرات دول عظمى كفرنسا وبريطانيا وتجييرها لتخديم سياساتهم، فكان اليمن.

● في اليمن كان كل شيء يقول إن المعركة الفاصلة ستدور رحاها هناك، وهناك سيتقرّر مصير الحقبة السعودية، التي أفسدت الثقافة والإعلام والسياسة والدين، وحوّلت النخب إلى مرتزقة، من رتب قادة جيوش وما دون ورؤساء دول وما دون، وأئمة وقادة الفقه، ورؤساء أحزاب وأصحاب مؤسسات الإعلام، وأصحاب الأقلام.

● كان العالم يتهيّأ لملاقاة التفاهم النووي الإيراني، وكان لحلف الخاسرين رهان مزدوج، ماذا ستفعل «إسرائيل» وماذا ستفعل السعودية؟ فعلت «إسرائيل» ما بيدها، فكانت غارة القنيطرة، وكانت عملية مزارع شبعا، وفرض ميزان الردع الموسع، لتطاول مظلته الجبهتين اللبنانية والسورية. وجاء دور السعودية، فأعلنت «عاصفة الحزم»، ولأنها امبراطورية مال ونفط لا ينضبان، جهّزت حملة امبراطورية، لا تتناسب مع الهدف، اليمن المسكين، ودارت رحى الحرب. وتلقى اليمنيون بأجسادهم النحيلة نيران القنابل الفوسفورية والفراغية، وقرّروا الموت لا المذلّة، وهيهات منّا الذلة، فكان النصر حليفهم، وأُعلن فشل العاصفة.

● اليمن يُنهي أسوأ حقبة سوداء في تاريخ العرب. فزمن التسويات الآتي، سيحمل الوقائع التي تجعل فرص الشعوب في سورية والعراق ولبنان ترسم بأيديها معادلاتها. وقد ولّى زمن الوصاية والهيمنة، ولو بقي التابعون تابعين، ولا يريدون تصديق أنّ ما تغيّر قد تغيّر، وما كُتب قد كُتب.

## خال «الغلابة»!

«يوم سمعنا خبر موتك بعد العصر،
ساعتها عرفنا أن الناس الزينة بتخلص منك يا مصر».

كلمات قالها الشاعر الراحل عبد الرحمن الأبنودي في وداع جمال عبد الناصر، وتقال بكلّ صدق في رحيله. فهو صاحب الكلمة المنسابة رقراقة كالنيل في الحبّ كما في الحرب. من بنت جبيل إلى القدس والسدّ العالي. هو «خال الغلابة»، مصريين وعرباً. رحل كما كان يتمنّى أن يفتح الباب للموت ليموت دفعة واحدة لا بالتقسيط كما كتب في قصيدته «عمة يا منة».

عرفت الأبنودي من خلال الصديقة الناشطة الفلسطينية المناضلة صابرين دياب في فترة تأسيس مشروع «توب نيوز». وكان اتفاق معه ومع الشاعر سميح القاسم أن تحمل الخدمة اسم الأبنودي في مصر والقاسم في فلسطين، لكن سوء السلطات حال بيننا وبين هذا التعاون. وتحادثنا مرّات بعدئذ، وكان الخال الذي شرّفني بتعبيره الصعيديّ عن ملاحقته ما أكتب وأقول، يبلغني تحياته للمقاومين الذين «رفعوا روسنا وبيّضوا وجوهنا ربنا يبيّض وجوههم يوم القيامة».

ما لا يعرفه الكثيرون عن الأبنودي أنه إضافة إلى ما كتب في السياسة والقضايا العامة، كتب بعضاً من أجمل أغاني الحبّ والغزل التي نحفظها ونردّدها ونادراً ما ننتبه إلى أنه كاتب كلماتها.

من أغنية «ساعات» للراحلة صباح، وأغنية «دواير» للفنان مروان خوري، إلى أغنية «قلبي ما بيشبهنيش» للفنان محمد منير، وصولاً لرائعته للفنانة القديرة نجاة الصغيرة «عيون القلب سهرانة»، التي لحّنها الأستاذ الكبير الموسيقار محمد الموجي، وليس انتهاءً بأغنية ماجدة الرومي «جايي من بيروت».

دمعة للأبنودي وحشرجة صوت في الوداع الذي خسرنا معه قلباً دافئاً وروحاً متدفقة وعقلاً ألمعياً... لك وحشة يا خال!

## سليمان تقيّ الدين: شيخ عقل

ـ مَن عرف هذا المناضل والمفكّر، كان يعرف أن أمامه قامة رجل يشبه رسمه في الذاكرة كتاب، وبحث جامعي مفتوح، لسان يتأنّى في انتقاء كلماته إجلالاً للغة القرآن الذي يحب فيه جذل الكلام، ويحبّ من الإغريق علم سقراط ومعادلات أرسطو وأحلام أفلاطون، ويحبّ من كلّ عقائد الأرض القانون.

ـ سليمان تقيّ الدين ثورة الداخل التي لا تحمل بصمتها عضلات الوجه الهادئ والصوت الخفيض، حيث القوة في الموقف لا صراخاً ولا هي تشنّج الفك وتقلّص خطوط الجبين وعقدة الحاجبين. ففي ذروة الغضب سليمان حليم، كشيخ آل تقيّ الدين، الشيخ الراحل حليم تقيّ الدين، ذلك الشيخ الحليم والتقيّ الدين، لم يأخذ سليمان من أسرته التي أورثته المشيخة إلا الحلم بتشكيلاته المتعدّدة، أن يكون حالماً وأن يكون حليماً.

ـ سليمان تقيّ الدين سيولة عقل يلبّي صاحبة في فكّ أسرار المعادلات وألغازها، كنّا نلتقي ونتداول ونتّفق على أنّ من الواجب فعل شيء. ثم لمّا نهمّ بالخطوة الأولى، نطرح السؤال: هل هو تحقيق للذات وإرضاء للكبرياء، أم تلبيةً لضرورة؟ فنتساءل عن الضرورة، لا بدرجة السوء الذي عليه واقع الحال وهو الأسوأ، ولا في الحاجة إلى التغيير، وهو الآسن الذي آن من زمان أوان ضخّ مياه جديدة فيه، بل الضرورة الموضوعية التي تطرق باب التاريخ بما يتعدّى النقّ والشكوى في الصالونات، بينما شهادة صناديق الاقتراع ما زالت تقول: كما تكونوا يولّى عليكم. فخير لنا تنسّك القلم والحبر، ومحراب الفكر، شهادة حق، من أن نصير رقماً في الفعاليات التي تبحث عن اسم وتستدعي التنافس غير المشروع، مع كيانات لا فرصة لصراع متكافئ معها، فالثورة ليست فعل الثوار، بل فعل الشعب أولاً، يتقدّمهم الثوار بالفكر والنضال والإقدام. وما تهيّب سليمان هذه المهمة يوم وقع الاجتياح «الإسرائيلي» كواحد من رجال جبهة المقاومة الوطنية.

ـ سليمان تقيّ الدين عاش شيخ عقل، ورحل شيخ عقل.

## مشاركة

مثل هذه الديم،
التي تحْيي الجذور،
وتغسل الأشجار والأماكن.
أيقظ حبك تلك النسيمات الهاجعة في سكوني،
فانتشى العطر، واخضرّت السنابل، ومالت البراعم نحو الشمس.
وثمل الوجدان بدهشة النور.
تُرى، في زمن التناقض واللاتوازن، هل ما زال للحلم موقع؟
وبين ازدحام الأيام المظلمة، هل من عبور؟
الحاضر ثقيل، والآتي مجهول... ومع الماضي لنا جسور!
هل نبقى أسراه، وفي فُلكه ندور؟
نحيا؟ أيّ حياة تلك التي تُبعَث من رماد الحروب النتنة؟
نبتسم؟ نتألم؟ نثور؟ أو نختار جواز المرور؟
نبقى؟ أيّ بقاء ذاك الذي تقصيه غربة الوطن؟
ولكن، في خضمّ هذا الألم، ومن خلف ذلك الحلم، يطلّ الصباح، وعلى ثغره بسمة حبور،
وبضع كلمات تقول: «عيناك وطني الدافئ، وحبك زهرة لا يدركها الذبول!».

**سحر عبد الخالق**

## قالت له

قالت له: لستُ عابرةً في حياتك؛ فلِمَ تلقاني كل يوم بدهشة وتخفي ابتسامةً لا أفهمها؟!

قال: كلّ ما فيك يأخذني إلى أبعد من تفكيري. تُقبلين كفرس أصيلة محمّلة برائحة الياسمين. تركض خلفك خصلات شعرك الحريريّ. وتشعّين من الداحل كبدر مكتمل في ليلة دامسة الظّلام. ثم تمدّين إليّ ذراعيك كأمّ تستقبل طفلها الرضيع في اللقاء الأوّل. تتحدّثين، تضحكين ثم تذهبين. لا شيء منك يُعاد، متجدّدة كينبوع ماء زلال. ولا تكونين في أيّ مكان أصل اليه. لذا، أندفع إليك لحظة اللقاء بكلّ بسالة، لكنّني كلّ مرّة أمامك أقف هكذا... مذهولاً! فأنت تملكين موهبة زرع توق إليك لا يُسكنه لقاءً أو ابتعاداً.

قالت له: أنتَ يا مَن يسكنني، أهلا بك من القلب.

**رانيا الصوص**